العلم الموروث فى اثبات الحدوث

تأليف : محمد سعيد افندى النقشبندى

بغداد ١٣٢٩ هـ

العلم الموروث فى اثبات الحدوث

(تأليف العلامة الفاضل والمرشد الكامل الشيخ)
(محمد سعيد افندي النقشبندي حفظه المعيد المبدى)
(المدرس الاول فى حضرة الامام الاعظم)
(والمجتهد الاقدم ابى حنيفة النعمان)
(رضى عنه الملك المنان)

[طبعت على نفقة ادارة جريدة الزهور]

(طبعت ببغداد فى مطبعة الولاية)
سنة
١٣٢٩

(قيمة النسخة قرشان)

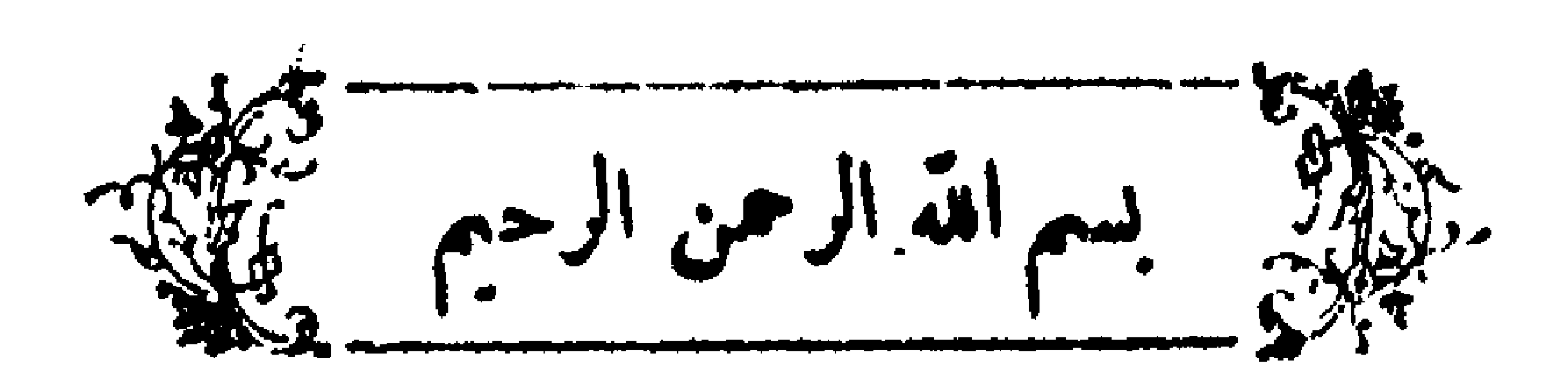
العلم الموروث في اثبات الحدوث

(تأليف العلامة الفاضل والمرشد الكامل الشيخ)
(محمد سعيد افندي النقشبندي حفظه المعيد المبدي)
(المدرس الاول في حضرة الامام الاعظم)
(والمجتهد الاقدم ابي حنيفة النعمان)
(رضي عنه الملك المنان)

[طبعت على نفقة ادارة جريدة الزهور]

(طبعت ببغداد في مطبعة الولاية)
سنة
١٣٢٩

(قيمة النسخة غرشان)



الحمد لله الذي اوجد الاشيآء من عدم وجعلها شاهدة على نفسها بالحدوث وله تعالى بالقدم هو الذي تتلى آيات كبريآئه على صفحات السبع الطباق وتجلى شواهد صفاته واسمآئه في الانفس والآفاق اخترع المكونات بقدرة قاهرة وابدع نظام الموجودات بحكمة باهرة بذاته كل الكمال وتم وبصفاته جل الجمال وعم توحد في احديته عن التعداد وتفرد بالعظمة في الازل والآباد تنزه عن الاحتياج الى التنزيه وتقدس عن الحلول والاتحاد والتشبيه لايقع عليه الكم والكيف والاين ولا يحيط به العلم ولا تدركه العين اعترف العالم بالعجز عن ادراكه ورجع العقل خآئباً عن فتقه وفكاكه والصلاة والسلام على شمس العلم والدراية وبدر الكمال والنهاية ونجم الاجتباء والهدايه ذي السبع المثاني صاحب المفاتيح والثواني وعلى آله الذين قصم الله بظهور حججهم ظهور المعاندين واصحآبه الذين جعل الله نجوم ادلتهم رجوماً للشياطين وعلى اتباعه الغر الميامين اما بعد فلما كثرت الاهوآء وشاع الالحاد في الارجآء احببت ان اذكر ما تمس الحاجة اليه من المسآئل مقرونة بالبراهين والدلآئل مقتفياً آثار الاواخر والاوآئل مع تحقيقات سمح بها الفكر الفاتر مع انها اخذت من اشارات الاكابر والله اسئل وبه اتوسل ان يجعل ما اعتمده خالصاً لوجهه الكريم وموجباً للفوز العظيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت وعلى بابه وقفت .

(مقدمة) اعلم اولاً ان معرفة حقآئق الاشيآء على ما هي عليه في نفس الامر بالادلة النظرية متعذرة لوجوه مستنبطة من اشارات الفحول ونصوص اهل المعقول (الاول) ان الاحكام النظرية تابعة للمدارك وهي لتوجهات المدركين التابعة للقوابل والاستعدادات وذلك كتعدد ابصار واحد متعلق بعشر مبصرات مثلاً يختلف بحسب اختلافها قرباً وبعداً لطافة وكثافة وتلوناً الى غير ذلك فثبت ان الاحكام النظرية تابعة لاستعداد الناظر تختلف باختلافه لا لما عليه نفس الامر فلذا حصل الاختلاف عند اهل النظر (الثاني) اختلاف الآراء المتناقضة مع عدم قدرة احدها على بطلان دليل الآخر دليل على ان لا تعويل على نظر ما ايضا

مع ان احدهما باطل قطعا فحصل الاحتمال على كل دليل (الثالث) الناظر كثيراً ما يعول على نظره برهة من الزمان ثم يطلع هوا ومن بعده على خلله فيرجع وهذا الاحتمال متحقق فى كل نظر فلا اتكال على شيء منها (الرابع) ان كل ذى نظر انما ينظر بقوته الفكرية الجزئيه والحقآئق كليات فى نفس الامر وقد تقرر ان الشيء لا يدرك الا ما يناسبه فحينئذ لا يدرك الا جزئياً مثاله فلا يدركها على نحو تعينها فيه (الخامس) ما اعترف به اهل الميزان باسرهم وهو ان البسيط لا يحد والرسم لا يعرف كنه الحقيقة ومعرفة المركب فرع معرفة بسآئطه اذ كل مركب ينحل اليها فى الوجودين الذهنى والخارجى بحسب التركيب واذ لا موقوف عليه فلا موقوف فلا علم بالحقآئق اصلاً (السادس) ما اعترف به اكثر الحكمآء بل عامتهم وذلك انهم عرفوا الحكمة بانها علم باحوال اعيان الموجودات على ما هى عليه فى نفس الامر بقدرة الطاقة البشرية وقالوا ان اعتبار تعلق قوله بقدر الطاقة البشرية قبل اعتبار تعلق قوله فى نفس الامر وذلك لأن التخالف بينهم واقع والمخالفة فى نفس الامر غير ممكنة فسلب الهيولى بحسب الطاقة الافلاطونيه ووجودها بحسب طاقة ارسطو فنفس الامر يكون ظرفاً للامور المتخالفه باعتبار الطاقه والا فلا فظهر ان جميع ما تكلمت به الفلاسفه من المسآئل الالهيه من باب الظن والتخمين وليس من اليقين بيقين وانت تعلم انهم على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام دهريه ، وطبعيه ، والهيه (فالاولى) طآئفة من الاقدمين جحدوا الصانع تعالى وزعموا ان العالم لم يزل موجوداً بنفسه لا بصانع (الثانيه) طآئفة من الاقدمين ايضاً اكثروا البحث عن عالم الطبيعة وعن عالم الحيوان والنبات واكثروا الخوض فى علم التشريح فرأو فيه من عجآئب صنع الله تعالى وبدايع حكمته فاضطروا به الى الاعتراف بقادر حكيم مختار مطلع على غايات الامور لكنهم انكروا المعاد الجسمانى وان اقروا برب العباد وهؤلآء زنادقة كالاولى (الثالثه) وهم المتأخرون منهم سقراط استاذ افلاطون وهو استاذ ارسطاطاليس وهو الذى رتب المنطق وهذب العلوم وحرر لهم المنطوق والمفهوم وهم بجملتهم ردوا على الطآئفتين من الدهرية ، والطبعية واوردوا فى الكشف عن فضائحهم ما اغنونا عن اطالة المقال (وكفى الله المؤمنين القتال) ثم ان ارسطاطاليس رد على من كان قبله رداً لم يقصر فيه حتى تبرء عن جميعهم الا انه استبقى من

وذآئل كفرهم بقايا لم يوفق للنزوع منها فوجب تكفيره وتكفير من اتبعه في بعض المسآئل وذلك لان علومهم على التفصيل منقسمة الى ستة اقسام رياضية ، ومنطقية ، وطبعية ، والهية ، وسياسية ، وخلقيه اما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب ، والهندسة ، والهيئة وليس شيء منها يتعلق بالامور الدينيه نفياً واثباتاً بل الامور برهانيه لا سبيل الى انكارها بعد فهمها ومعرفتها ولكن قد تولدت منها آفتان احديهما ان من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها فيحسن ظنه في الفلاسفه ويحسب ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقه البرهان كهذا العلم ولم يدر ان كلامهم في الرياضيات برهاني وفي الالهيات تخميني لا يعرف ذلك الا من وقف على كلامهم وخاض في استدلالاتهم . . . ثانيتهما من صديق للاسلام ظن ان الدين ينصر بانكار كل علم منسوب اليهم وزعم ان جميع ما قالوه على خلاف الشرع حتى انكر قولهم في الكسوف والخسوف وانكر حركة الارض اليوميه والسنويه وقال ان هذا مصادم للدين المحمدي فليت شعري على اي دليل حول أم على اي برهان لهذا الجمل فصل ولم يدر ان البرهان قد قام على الحركة وما تكلم به المنكرون اجاب عنه العارفون وخلاصه الكلام ان بعضهم اعترض وقال ان في الارض مبدء ميل مستقيم طبعاً فلا يكون فيها مبدء ميل مستدير للتنافي واجاب العضد عنه بقوله لا تنافي بين المبدئين وذلك لثبوتهما بالدحرجه وبعضهم قال ان الارض لو كانت متحركة لكان ينبغي ان السهم اذا رمى الى جهه حركة الارض ان لا يسبق موضعه لسرعه حركة الارض واذا رمى الى خلافها ان لا يتجاوز عن الموضع الذي رمى منه واللازم باطل لاستوآء النسبة من الجانبين بالحدس واجيب بجواز ان يشايع الارض الهوآء المتصل بها مع ما يتصل به من السهم في الحركة فان السهم يتحرك بحركة الارض تبعاً للهوآء التابع للارض فلا يتجاوز موضعه الذي رمى منه من الجانبين الا بحركة نفسه فلذا تساوت المسافتان فتأمل وبعضهم قال لوكانت متحركة لزم انصباب المياه وسقوط الابنية وان نرى انفسنا معلقين واجيب عنه بانه منقوض وذلك ان القآئم في الآفاق المآئلة لا يحس بانحراف قيامه بالنسبة الى القآئم في خط الاستوآء وذلك لان الارض لكرويتها تميل الاجسام الواقعة عليها الى مركزها بالجذب فلا نرى انفسنا معلقين ولا يلزم الانصباب والسقوط على ما برهن عليه في الحكمة واذا كانت بهذا الوضوح التام كيف وقد اعترف بها

الاوائل من الاسلام تصادم نقلاً صحيحاً معتداً به عند الثقات فاذا انكر هذه
المسئلة وما شابهها عناداً ومكابرة وشرع هذا بسمع من عرف هذا بالبرهان ازداد
بالفلسفة حباً وللاسلام بغضاً وهذه جناية عظيمة على الاسلام وذلك من الجهل
بالرياضيات وعدم الوقوف على النهايات واما المنطقية فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً
واثباتاً لكنهم يجعلون للبرهان شروطاً يعلم من كلامهم انها تورث اليقين لا محالة لكنهم
عند الانتهاء الى المقاصد الدينية ما امكنهم الوفاء بتلك الشروط بل تساهلوا
غاية التساهل يعلم ذلك من مارس كتبهم فرد عليهم واما الطبيعية فهو علم
يبحث فيه عن اجسام العالم ومن اسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها وغير ذلك
لكنهم كفروا في مسائل ستتضح لك بالامثال واما الالهية ففيها اكثر اغاليطهم
ويستلزم كفرهم لانهم عجزوا عن الوفاء بالبراهين على ما شرطوا في المنطق ولذلك
خالفت آراؤهم واضطربت كلامهم وذلك من عجزهم عن اقامة البرهان وعدم
وقوفهم على محل البيان واما السياسية فامور ترجع لحفظ السياسة الدينية
والمصالح العامة الدنيوية واما الخلقية فامور ترجع الى تهذيب النفس وكيفية
معالجتها ومجاهدتها ولا تظن ان هذه الامور من عندهم بل انما اخذوها من
كلام الالهيين المثابرين على ذكر الله تعالى وعلى اتباع الطريق الحق الاولى
مع مخالفة الهوى والاعراض عن السوى ومزجوها في كتبهم تجملاً بها الى
ترويج باطلهم ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتوجهين
بسرائر قلوبهم للحضرة القدسية والمتخلقين بالاخلاق الروحية وذلك ان الحق
تعالى اصطفى من خلقه في كل عصر ومن كل جيل صفوة ايدهم بروح منه واطلعهم
على ما شاء من حقائق صفاته واسرار احكامه وجوب وجوده ثم امرهم ان
ينبهوا جميع الناس ويدعوا الى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ثم ايدهم بالمعجزات
واظهروا على بعض ما شاهدوا واخبروا بما امروا فاختلف الاستعداد فلذا اختلفت
درجات القبول واذا كنت من كشف هذا الغطاء على وطاء علمت ان الفلاسفة
القدماء لم يكفروا الا في مسائل الهية ذكرها الامام الغزالي في تهافته ولما كانت
مسئلة ازلية العالم من اهم مسائلهم التي بنوا عليها انكار النبوة وحشر الاجساد
وقد تبعهم الفلاسفة الجديدة في هذه المقالة الفاسدة والنزعة الكاسدة احببت
ان اهدم اركانها واقلع من اساسها بنيانها بادلة عقلية وبراهين نقلية وآثار
آيائية ولوائح انفسية مستخرجة من زبر المتقدمين واشارات المتأخرين

رجآء ان تكون هادية للمنصف الى عين اليقين وموصلة له الى حق اليقين وهو حسبي ونعم الوكيل (المسألة الاولى) في ان العالم حادث ومن قال بان العالم قديم فقد انكر العيان ولم يكن عنده برهان وذلك من وجوه (الوجه الاول) في حدوث النفس وذلك انها في كل زمان اقل منها في الزمان الذي بعدها واكثر منها في الزمان الذي قبلها وكلما كان كذلك فله بداية فالنفوس لها بداية وقد ثبت ان كل ماله بداية فهو حادث وايضاً لو كانت النفس ازلية لزم احد الامور الثلاثة وهي اما اجتماع الضدين او بطلان ما ثبت او ثبوت ما يمتنع بيان ذلك انها لو كانت قديمة فاما ان تكون في الازل واحدة او متعددة لا سبيل الى الاول لانها بعد التعلق بالبدن اما ان تبقى على وحدتها وحينئذ يلزم ان تكون نفس زيد بعينها نفس عمرو ونفس من اتصف بالبخل والجبن بعينها نفس من اتصف بالتهور والاسراف فيلزم اجتماع الضدين وهو الامر الاول واما ان تتكثر ولا يمكن ذلك الا بان تبطل النفس الاولى الواحدة وتحدث نفوس آخر كثيرة فيلزم بطلان ما ثبت اعني النفس الاولى وهو الامر الثاني وذلك باطل لأن القديم يمتنع زواله ولا سبيل ايضاً الى الثاني لانها على تقدير تعددها في الازل لا تكون متحدة بالنوع وقد تحقق انها متحدة بالماهية والتكثر بالافراد انما يكون فيما له مادة ومادتها البدن ولا بدن في الازل فثبت ما يمتنع وهو الامر الثالث فتم الكلام وحصل المرام (الوجه الثاني) ان العالم عبارة عن الاعيان والاعراض وكل عين متناه بمساحته وبزمان وجوده وكل عرض متناه بتناهي العين الحامل له واذا كانت الاجزآء متناهية كان كلها متناهياً ايضاً اذ لا وجود له بدونها والا يلزم ان يكون الكل متناهياً وغير متناه وذلك من الهذيان بمكان (الوجه الثالث) ان العالم اجزآءه موجودة بالفعل وكل ما كانت اجزآئه موجودة بالفعل محصور فالعالم محصور وكل محصور له طرفان فالعالم له طرفان اي بداية ونهاية وكل ما له بداية ونهاية حادث فالعالم حادث (الوجه الرابع) ان اجسام العالم لو كانت قديمة لكانت في الازل اما متحركة او ساكنة وهما محالان وذلك ان الجسم لابد له من حيز وجهة وهو في حيزه لا يخلو عن الحركة والسكون اما بطلان ازلية السكون فالخصم يسلمه واما بطلان ازلية الحركة فلأن الحركة انتقال من حال الى حال فتكون الحركة مسبوقة بالحالة التي انتقلت منها فحقيقة الحركة تقتضي المسبوقية بالغير والازل يقتضي اللا مسبوقية فيلزم الجمع

بين الحركة والازل وهو محال لامتناع الجمع بين النقيضين فتدبر (الوجه الخامس) في تناهي الزمان وذلك ان الزمان مذ كان الى وقت الهجرة جزء الزمان مذ كان الى وقتنا هذا لأن هذا كل لذاك فحينئذ لا يخلو الكل اما ان يكون اكثر من الجزء او اقل او مساوياً ولما استحال القسمان الآخران ببداهة العقل تعين الأول بالضرورة فالزمان مذ وجد الى وقت الهجرة ذو نهاية وانت تعلم انه اذا كان ذا نهاية كان جزءاً من الكل والكل مجموع الاجزاء ولا وجود له بدونها واذا كانت الاجزاء متناهية كان الكل متناهياً ايضاً واذا كان متناهياً كان حادثاً فتحقق ان الزمان حادث ولا يجرى هذا الدليل بالنظر الى البارى تعالى لأنه ليس بزمانى ولا مكانى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء بوجه من الوجوه بل هو الواحد لا واحد سواه فان قيل ما الجواب عما قالته الاوآئل من الفلاسفة وتبعتهم الاواخر منهم من ان الزمان لا بداية له ولا نهاية له وذلك لأنه لو كان له بداية لكان عدمه قبل وجوده قبلية لا توجد مع البعدية وكل قبلية لا توجد مع البعدية فهي زمانية فيكون قبل الزمان زمان هذا خلف وكذلك لو كان له نهاية لكان عدمه بعد وجوده بعدية لا توجد مع القبلية فتكون زمانية فيكون بعد الزمان زمان هذا خلف اقول الجواب على ما ذهب اليه المحققون من وجوه (الوجه الاول) ان تقدم عدم الزمان على وجوده لا يجب ان يكون زمانياً كما ان تقدم بعض اجزاء الزمان على بعض آخر لا يكون زمانياً والا لزم ان يكون للزمان زمان بل هو نوع آخر غير ما بالزمان والشرف والعلية والطبع فكما عقل نوع آخر من التقدم في الزمان بحيث لا يستدعى زماناً فليعقل مثل ذلك في تقدم عدم الزمان على وجوده حتى لا يلزم ان يكون ذلك التقدم زمانياً (الوجه الثاني) ان الحوادث الماضية يتطرق عليها الزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فله بداية فللحوادث الماضية بداية واذا اردت الوقوف على هذا فراجع الوجه الخامس فتذكر (الوجه الثالث) ان الزمان لما كان امراً متصلاً موجوداً في الخارج على مذهبهم يجرى فيه اكثر البراهين المذكورة في تناهي الكميات من التطبيق والتضايف وغيرها وما قيل من ان اجزاءه غير مجتمعة في الوجود فلا يجرى فيها التطبيق والتضايف مدفوع بان اجزاءه وان لم تكن مجتمعة في مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان المسجونين في سجن المكان لكنها موجودة مجتمعة بالنظر الى المبادى العالية وما هو اعلى منها اذ

لا قد . بل غيبة بالنظر اليها بل كل ما يوجد تدريجي بالقياس الى الزماني دون بالقياس الى المبادي العالية فتأمل وايضاً ان الفلاسفة قد حققوا ان المتجددات الزمانية موجودة في وعاء الدهر معاً حقيقة دهرية فالموجودات الزمانية بأسرها لها مجموع في وعاء الدهر فلا يصح نفي الوجود عن المجموع (الوجه السادس) انا اذا تصفحنا الاجسام وجدناها متناهية وغير منفكة عن جزئيات حادثة لانها لا تخلو عن الحركة والسكون وذلك لان كل جسم له وضع وموضع فان كان منتقلاً من احدهما كان متحركاً والا كان ساكناً وكل منهما حادث وذلك ظاهر اما الحركة فلوجوه احدها انها تقتضي المسبوقية بالغير لكونها انتقالاً من حال الى حال والانتقال من حالة الى اخرى لابد ان يكون مسبوقاً بحصول الحالة المنتقل عنها وهذا سبق زماني حيث لا يجامع السابق المسبوق والمسبوق بالسبق الزماني مسبوق بالعدم لان معنى عدم مجامعة السابق المسبوق ان يوجد السابق ولا يوجد المسبوق والمسبوقية بالعدم هو معنى الحدوث وما اعترضه الارموي على هذا الدليل مدفوع وذلك لان ماهية الحركة مركبة من امر ينقضي ومن امر يحصل لان الحركة لابد ان تكون منقسمة الى اجزاء لا يجوز اجتماعها ولاشك ان الامر المتحصل مسبوق بالامر المنقضي وماهية الحركة لا تحصل الا بهما فهي ايضاً مسبوقة بالامر المنقضي ضرورة ان مسبوقية الجزء تقتضي مسبوقية الكل فلا يتصور قدم ماهية الحركة وحدوث اجزائها واما السكون فلانه لو كان قديماً لامتنع زواله واللازم باطل وهذا مبني على ان السكون امر وجودي على ما ارتضاه القدماء منهم فتأمل واذا كانت الاجسام غير منفكة عن الحوادث فهي حادثة بالضرورة وايضاً ان كل واحد من الجزئيات متناه وذلك ان كل واحد موصوف بالاضافتين المتقابلتين اي بكونه سابقاً على ما بعده وبكونه لاحقاً لما قبله والاعتباران مختلفان وان كانا في ذات واحدة فاذا اعتبرنا الحوادث الماضية المبتدءة من الآن مرتين احديهما من حيث كل واحد منها سابقاً والاخرى من حيث هو بعينه لاحق كانت السوابق واللواحق المتباينات بالاعتبار متطابقتين في الوجود ويجب زيادة المتصف باحدهما من حيث هو متصف بها على المتصف بالاخرى اي يجب زيادة السوابق على اللواحق في الجانب الذي وقع النزاع فيه بواحدة وذلك لان المتضايفين المتطابقين يجب تساويهما في العدد والحادث اليومي مسبوق محض فلابد ان يكون في الحوادث

الماضية سابق محض والا لزاد عدد المسبوق بواحد فاذن اللواحق متناهية فى الماضى لوجوب انقطاعها قبل انقطاع السوابق والسوابق الزائدة عليها بمقدار متناه متناهية ايضاً فانظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال لتكون ممدوداً من الرجال (الوجه السابع) هو ان العالم بجميع ما فيه جائز ان يكون على مقابل ما هو عليه حتى يكون من الجائز مثلاً اصغر مما هو او اكبر مما هو او على شكل آخر غير الشكل الذى هو عليه او تكون حركة كل متحرك منه الى جهة مغايرة للجهة التى تحرك اليها حتى يمكن فى الحجر ان يتحرك الى فوق وفى النار الى اسفل وانت تعلم ان كل جائز محدث وله محدث اى فاعل صيره باحد الجائزين اولى منه بالآخر وقد اذعن ابن سينا بهذه وقال ان كل موجود ما سوى الفاعل فهو اذا اعتبر بذاته ممكن وجائز واما افلاطون فقد جوز ان يكون الشئ الجائز ازلياً ومنعه ارسطو بعلل لا مزيد عليه واذا تحدست هذا علمت ان الجائز لا بد له من مخصص يجعله باحد الوصفين الجائزين اولى منه بالثانى وان هذا المخصص لا يكون الا مريداً وان الموجود بالارادة حادث وذلك ان كل فعل اما ان يكون عن طبيعة او ارادة لا جائز ان يكون عن طبيعة لانه لا يكون عنها احد الجائزين المماثلين اعنى لا تفعل المماثل دون مماثله بل تفعلهما معاً مثال ذلك ان السقمونياليست تجذب الصفراء التى فى الجانب الايمن من البدن مثلاً دون التى فى الايسر فتعين ان يكون ارادة لانها التى تختص بالشئ دون مماثله وانت اذا لاحظت العالم وجدت اكثر افراده من المماثلات فتخصيص بعضها بخواص دون البعض الآخر دليل على انه مخلوق بارادة والمخلوق بها حادث فالعالم حادث بالضرورة (الوجه الثامن) ان حصول الحادث اليومى لو كان موقوفاً على انقضاء ما ليس بمتناه لامتنع وجوده لكنه موجود فيلزم ان تكون الحوادث السابقة عليه متناهية فيكون حادثاً بالضرورة شخصاً ونوعاً وذلك كرجل قال لآخر لا اعطيك هذا الدينار حتى اعطيك قبله دنانير لا نهاية لها فليس يمكنه ان يعطيه ذلك الدينار المشار اليه لانه موقوف على المحال والموقوف على المحال محال فتدبر (الوجه التاسع) انا وجدنا اجسام العالم متساوية فى الجسمية مختلفة فى الصفات فبعضها حار وبعضها بارد وبعضها رطب وبعضها يابس وبعضها لطيف وبعضها كثيف وبعضها علوى وبعضها سفلى وبعضها فلكى وبعضها عنصرى والمؤثر فى هذه الصفات المختلفة لا يجوز ان

يكون نفس الجسمية لامتناع ان يكون ما به الاشتراك علة لما به الامتياز فحينئذ لابد من شيء آخر يؤثر في هذه الصفات وذلك الشيء ان كان جسماً يرد هذا الكلام بعينه فيه ايضاً ويؤدى الى الدور والتسلسل الحاليين واذا ثبت هذا فنقول المؤثر اما ان يؤثر بالطبع والايجاب او بالقصد والاختيار والأول محال لأن نسبته الى جميع المتساويات متساوية فيستحيل ان يختص بعض الاجسام بالحرارة وبعضها بالبرودة الى غير ذلك فثبت ان المؤثر في تخصيص هذه الصفات ليس بجسم ولا طبع ولا ايجاب بل بقدرة واختيار وانت تعلم ان اثر القادر المختار حادث فالعالم حادث (الوجه العاشر) قد تحقق في مدارك العقول انه لا سبيل الى وجود ثان الا بعد اول ولا الى وجود ثالث الا بعد ثان وهكذا ابداً وانت تعلم انه اذا لم يكن لاجزاء العالم اول لم يكن له ثان ولو لم يكن له ثان لم يكن له ثالث ولو كان الامر على هذه الصورة لم يكن عدد ولا معدود والعدد والمعدود موجودان فلابد ان يكون الثالث بعد ثان والثانى بعد اول والأول حادث لتقدم عدمه على وجوده ضرورة وايضاً ان الأول والآخر من باب الاضافة فالآخر آخر للأول والأول اول للآخر فلو لم يكن اول لم يكن آخر فيومنا هذا بما فيه آخر لكل موجود قبله فله اول بالضرورة ومن ثبت له اول فهو حادث (الوجه الحادى عشر) ان الانسان المتفكر اذا نظر الى العالم نظر معتبر وشاهد الشمس والقمر وسائر الكواكب التى هى سبب الفصول الاربعة وسبب الليل والنهار وسبب الامطار والمياه والرياح وسبب عمارة الارض ووجود الناس وسائر الكائنات من الحيوانات والنباتات وكون الارض موافقة لسكنى الناس فيها وسائر الحيوانات البرية وكذلك الماء اذا شاهده موافقاً للحيوانات المائية والهواء للحيوانات الطائرة وغيرها وانه لو اختل شيء من هذه المصنوعات لاختل نظام المخلوقات علم بالعلم الضرورى ان هذا النظام بهذه الحكم والاسرار لم يكن من باب الاتفاق بل من قصد قاصد وارادة مريد وهو الفاعل المختار جل جلاله وايضاً اذا تأمل الناظر وجد فيها التنبيه على موافقة اجزاء العالم لوجود الانسان وذلك ان الارض خلقت بصورة يتأتى المقام عليها حيث قال تعالى (وجعلنا الارض مهاداً) الى غير ذلك من الحكم والمنافع وانت اذا تصفحت كل جزء من اجزاء العالم وجدت في مطاويه حكماً خفية ومنافع كلية تعود بالنفع للانسان فهذا كله وما ضاهاه دليل واضح جلى وبرهان قوى على ان صانع

هذه الامور العجيبة والصنعة البديعة الغريبة فاعل مختار وان اثر الفاعل المختار حادث فالعالم حادث وايضاً انا نرى اجساماً جادية ثم تحدث فيها الحياة فنعلم قطعاً ان ههنا منعماً بالحيواة وموجداً لها وما هو الا الفاعل المختار وذلك لأنه لو كان الموجب اوالطبيعة لما حصلت هذه الافاعيل العجيبة على التدريج والا لكان الامر دفعياً وذلك خلاف المشهود ومناقض للموجود وايضاً ان ارباب التشريح ادركوا من معرفة اعضاء الانسان والحيوان ما ينوف على آلاف من المنافع الحاجية والارتفاقات الضروريه واذا تأملها المتعمق يجدها اثراً من فاعل مختار لا من طبيعة واتفاق ومن قال بذلك فهو اعمى عن طريق العيان واعشى عن مشاهدة البرهان وكافر بنور الايمان (الثاني عشر) ان دلالة المرء من نفسه لنفسه اقوى من استدلاله بالغير وذلك من وجوه (الأول) ان هذا الهيكل الانساني لما كان مفتقراً الى مدبر ومحرك وهذه الروح تدبره وتحركه علمنا ان هذا العالم لابد له من محرك ومدبر (الثاني) لما كان مدبر الجسد واحداً وهو الروح علمنا ان مدبر العالم واحد (الثالث) لما كان الجسد لا يتحرك الا بارادة الروح وتحريكها له علمنا ان العالم له مريد يدبره وقادر يحركه (الرابع) لما كان لا يتحرك في شيء الا بعلم الروح وشعورها علمنا ان مدبر العالم عالم بشؤنه وحركاته (الخامس) لما كان الجسد لم يكن فيه شيء اقرب الى الروح من شيء علمنا ان مدبر العالم قريب الى كل شيء بالقرب الذي يعلمه (السادس) لما كان الروح موجوداً قبل وجود الجسد وتكون موجودة بعده علمنا ان مبدع العالم موجود قبل كون خلقه ويكون موجوداً بعد فناء خلقه (السابع) لما كان الروح في الجسد لا يعرف لها كيف علمنا ان صانع العالم ليس له كيفية (الثامن) لما كان الروح في الجسد لم يعلم لها اينية علمنا ان مدبر العالم لا يوصف باينية (التاسع) لما كانت الروح في الجسد لا تحس ولا تمس علمنا بان مدبر العالم منزه عن صفات المحدثات (العاشر) لما كانت الروح في الجسد لا تدرك بالبصر ولا تمثل بالصور علمنا بان صانع العالم لا تدركه الابصار ولا يمثل بالصور والآثار واذا تأملت الحقيقة الانسانية وما انطوت عليه من الاسرار الخفية علمت انها اثر الفاعل المختار واثر الفاعل المختار حادث فالعالم الصغير حادث والعالم الكبير حادث ايضاً (الثالث عشر) انك اذا نظرت الى ابريق رأيت فيه ثلاثة اشياء احدها الرأس الواسع وثانيها الانبوبة الضيقة وثالثها العروة وكل

واحدة منها لحكمة مخصوصة موافقة للمصالح العمومية وذلك لأنه لابد من توسيع رأس الابريق حتى يدخل الماء فيه بالسهولة ولابد من ضيق الانبوبة حتى يخرج الماء منها بقدر الحاجة ولابد من العروة حتى يقدر الانسان على ان يأخذه بيده فلما وجدنا هذه الامور الثلاثة فى الابريق مطابقة للمصلحة شهد عقل كل احد بان فاعله لابد وان يكون قد فعله لحكمة ورعاية مصلحة ولو ان قائلاً قال انه تكون بنفسه من غير قصد قاصد حكيم ولا فعل فاعل بل اتفق تكونه بنفسه لشهدت الفطرة السليمة بان هذا القول باطل محال تمجه آراء الرجال اذا عرفت هذه المقدمة تعلم ان فى السموات العلوية والكواكب الدرية والعناصر السفلية والمعادن الجوهرية والنباتات الارضية حكماً باهره ودلائل باهره وآثاراً عجيبة ومصالح بديعة غرقت العقول فى بحرها وحارت الالباب فى وصفها لاجرم كانت هذه الاعتبارات بالدلالة على وجود الفاعل المختار الحكيم اولى وانت تعلم متى ثبت الفاعل المختار ثبت القول بحدوث العالم بلا اشتباه فانفى العالم بالقدم وما له فى الوجود الوجوبى قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع مشهود وهو فى الانفس والآفاق موجود فاترك الاهوآء واعكف على باب خالق الارض والسمآء وانت اذا لاحظت اقوال الاوآئل وجدتهم باجمعهم قائلين بحدوث العالم حتى قد اشتهر القول بالحدوث عن افلاطون واذا لاحظت ادلتهم وجدتها سقيمه بل حكم ارباب العقول السليمة بانه لا حجة لهم تدل على قدم شيء من العالم وما قاله ارسطو من ان صورة الافلاك قديمة ومادتها حادثة فهو قول باطل ورأى عاطل قام على بطلانه البرهان وكذبه القلب والجنان وان من تكلم فى زماننا من الماديين فلم يكن منهم عن رويه وتبصر بل ظهر منهم تقليداً له فلو طلبت منهم الدليل لرجعوا القهقرى وحادوا عن سوآء السبيل وان القول بالحدوث من اجلى البديهيات واوضح الضروريات فان ادنى اهل العقول يعلم بالحدوث بادنى التفات وذلك ان من دخل بستاناً ورأى ازهاراً حادثة بعد ان لم تكن ثم رأى عنقود عنب قد اسود جميع حباته الا حبة واحدة مع تساوى نسبة الماء والهوآء وحر الشمس الى جميع تلك الحبات الا يضطر ويقول بان محدثه فاعل مختار لأن دلالة الفعل المحكم على علم فاعله واختياره ضروريه عند ارباب العقول والله تعالى الهادى وهو المسؤل

(الرابع عشر) انك اذا وضعت ما قدمناه على صفحات الخيال واحطت علماً

بما زعموه من المقال تعلم بالعلم الضروري ان المدرك من الاجسام مركب من جوهر وعرض او هيولى وصورة والصورة لا تظهر الا بالهيولى ومعقوليه الجسم المتصل في البين عبارة عما يمكن ان يفرض فيه الابعاد الثلاثه ثم ان الهيولى المجردة عند اهل النظر لا تقبل القسمه عقلاً وكذلك الصورة مع انه بحلول الصورة في الهيولى صارتا جسماً وقبلتا القسمه فانقسم ما كان لذاته غير قابل للقسمه مع انه لم يحدث الا الاجتماع وهو نسبه كسائر النسب وانت تعلم ان الفلاسفه قالوا ان الهيولى اى المادة ملازمه للصورة لا تنفك عنها فقد جاءها الانقسام على دعواهم وكل منقسم حادث فالمادة حادثه وايضاً ان الطبيعه معنى مجرد على زعمهم تشتمل على اربع حقائق وتناسب كلاً بذاتها بل هي عين كل واحد منها مع تضادها وانت تعلم انها حينئذ مجموع حقائق اربعه فصارت مركبه وكل مركب حادث فالطبيعه حادثه وان جعلت بالك بما نبهتك عليه رأيت العجب العجاب وعرفت السر الذي حير اولى الالباب فان قيل بعد ان ثبت بهذه الادلة القاطعه بل بما هو اقطع منها حيث لم يحم حوله شبهه نظر وهو كتاب الله وسنه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بان العالم حادث هل اطلع احد من الخواص على تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق النقل او العقل او الكشف اقول اما النقل فلم يحدد وما ورد من ان الدنيا سبعه آلاف سنه انا في آخرها وفي رواية وانا في آخرها فقد تكلم الحفاظ عليه بما لا مزيد عليه قال المناوى في شرح الجامع الصغير بعد روايه هذا الحديث قال جمع منهم ابن الاثير الفاظه موضوعه واما ما ذكره الامام السيوطي في رسالته المسماة بالكشف عن مجاوزة هذه الامه الالف فكل ما تمسك به انما هو الحديث السابق وقد علمت ما فيه واما ما اخرجه البخارى ومسلم عن ابن عمر مرفوعاً انما اجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر الى غروب الشمس فخلاصته ان الباقى من عمر الدنيا اقل بكثير من الماضي منها لا سيما اذا كان وقت العصر على ما اختاره الامام الاعظم واما ما اخرجه الترمذى وصححه عن انس بن مالك مرفوعاً بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابه والوسطى فهو ايضاً اشارة الى قرب الساعه نظراً الى ما مضى منها فالتحديد لم يثبت عند ارباب التصحيح وما ثبت فهو عند النقاد جريح واما العقل فقد تكلم الفلاسفه المتقدمون باقوال متناقضه وآراء متعارضه قال هرمس الحكيم ان سلطان الحل عندهم اثنا عشر الف

سنة وسلطان الثور دونه بالف سنة وهكذا ينقص الف الف الى الحوت فيكون سلطانه الف سنة ومجموع ذلك ثمانية وسبعون الف سنة فاذا كملت انقضى عالم الكون والفساد ومنهم من قال باكثر من هذا بكثير ومنهم من قال باقل من هذا بقليل فتراهم مضطربين وعن طريق الحق عادلين وهذه شنشنتهم فى كافة مطالبهم لا يقفون على قرار ولا قرار لهم الا فى دار البوار واما الكشف فقد ذكر الشيخ الاكبر والحبر الازهر فى الباب التسعين وثلثمائة لم يبلغنا ان احداً عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك ان اكثر الكواكب قطعا فى الفلك الاطلس الذى لا كوكب فيه فلك الكواكب الثابتة سميت ثابتة لأن الاعمار لا تدرك حركتها لظهور ثبوتها للابصار مع انها سابحة سبحاً بطيئاً والعمر يعجز عن ادراك حركتها لقصوره فان كل كوكب يقطع الدرجة من الفلك الاقصى فى مائة سنة الى ان ينتهى اليها فما اجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فتحسب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنه وقد ذكر لنا فى التاريخ المتقدم ان اهرام مصر بنيت والنسر فى الاسد وفى نسخة الحمل وهو اليوم عندنا فى الجدى فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر امرها على ان بانيها بالقطع من الناس اه وقال فى الباب السابع من الفتوحات ان عمر الدنيا لا يحصى بآلاف الوف من السنين فتحقق مما نقلناه ان التحديد لم يقف عليه أحد ولكنا نعلم بان العالم حادث بالزمان وانه ينقل منه الى دار الحيوان وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام فى واقعة من الوقائع فقلت له انى رأيت شخصاً فى الطواف فاخبرنى انه من اجدادى فسألته عن زمان موته فقال لى اربعون الف سنة وسألته عن آدم لما تقرر عندنا فى التاريخ من مدته فقال عن اى آدم تسأل عن آدم الاقرب ام غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص انى نبى الله ولا اعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال فى المخلوقات بانتهاء المدد لا بانتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق خالقاً ولا يزال دنياً وآخره فقلت يا نبى الله عرفنى بشرط من اشراط الساعة فقال وجود ابيكم آدم الاقرب من علاماتها فقلت كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود [illegible] والدنيا ما كانت دنياً الا بكم وقال فى الباب السابع ايضاً قد اكمل الله [illegible] خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء احد وسبعين

[illegible] الف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال لما انتهى الخلق [illegible]
مدته اربع وخمسون الف سنة خلق الله تعالى هذه الدنيا فلما انقضى من مدته
ثلاث وستون الف سنة خلق الله الآخرة التي هي الجنة والنار فكان بين خلق
الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن
خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا اولى لأنها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى
للآخرة امداً ينتهي اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم انتهى واقول الآخرة وان
كان لها البقاء الدائم لكنه من الغير ولم يكن من مقتضى الذات وما قاله التفتازاني
في شرح المقاصد وبالجملة فليس المراد انه تعالى آخر كل شيء بحسب الزمان
منظور فيه من وجوه ومستغنى عنه بما ذكرناه فلا تغفل واذا احطت علماً بما
نقلناه تحقق عندك ان التحديد لم يقم عليه برهان ولم يصل الى العيان وذلك
ان اهل العقول كلماتهم مضطربة ولو ذكرناها لضاق المجال مع انها هذيان عرية
عن برهان واهل الكشف كشفهم يكون دليلاً لهم لأنه كالالهام حجة قاصرة
والنقل الصريح لم يجدد ومن ادعى في ذلك انها سبعة آلاف او اقل او اكثر
فقد قال ما لم يأت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه لفظة تصح بل
صح عنه صلى الله عليه وسلم خلافه بل نقطع ان الدنيا امداً لا يعلمه الا الله تعالى
قال الله تعالى (ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم) واذا
كان النقل الصريح لم يصرح والعقول قاصرة عن ادراك حقيقة ما لم تشهده
والكشف حجة قاصرة لزم على العاقل ان يكف عن الخوض في هذه المسالك
الوعرة السلوك وان يفوض الامر الى مالك الملوك وان يقف على حده ولا
يتجاوز عن طوره فالعالم بجميع اجزائه حادث والمحدد هو الحق ناكث
هذا ما جمعناه من الاقوال لضيق المجال والا ففي المقام مقال والله سبحانه
الهادي وعليه الاتكال (المسألة الثانية) في ان اعادة المعدوم واجبة شرعاً
جائزة عقلاً فمنكرها على الاول كافر وعلى الثاني جاهل بالحقائق [illegible] عن
الطرائق اما الوجوب الشرعي فظاهر واضح غني عن البيان [illegible]
العقلي فمن وجوه (الاول) ان الموجودات الامكانية وان عدمت [illegible]
يصاحبها في حال العدم كما كان مصاحباً لها في العدم قبل الوجود [illegible] لأنها
قبل العدم كانت جائزة الوجود لذاتها وهذا الجواز اما ان [illegible] لوازم
حقيقتها او من عوارضها فان كان من لوازم الحقيقة وجب ان [illegible] كان

من عوارضها كانت الله بحيث يجوز عليها ذلك الجواز فينتقل الكلام الى جواز الجواز ولا يتسلسل بل ينتهي بالآخرة الى جواز هو من لوازم الحقيقة وهذا يقتضي حصول هذا الجواز خالق الوجود والعدم فثبت بهذا ان الجواز حاصل ابداً واذا جعلت هذا وامثاله على صفحات الخيال علمت ان الشريعة المحمدية لم تأت بما تحيله العقول بل بما يقبله اهل المعقول (الثاني) ان المعاد مثل المبدء بل عينه لان الكلام في اعادة المعدوم بالصورة ويستحيل كون الشيء ممكناً في وقت ممتنعاً في وقت آخر وذلك للقطع بانه لا اثر للاوقات فيما هو بالذات فالاعادة جائزة بنظر العقل والعقل السليم مذعن بها (الثالث) ان المعدوم الممكن قابل للوجود ضرورة استحالة انقلاب الجائز ممتنعاً فالوجود قبل العدم الثاني افاده زيادة استعداد لقبول الوجود على ما هو شأن القوابل بناء على اكتساب ملكة الاتصاف بالفعل فقد صار قابليته للوجود ثانياً اقرب واعادته على الفاعل اهون فان قيل ما معنى كون الاعادة اهون على الله تعالى وقدرته القديمة لا تتفاوت المقدورات بالنسبة اليها قيل كون الفعل اهون تارة يكون من جهة الفاعل وتارة من جهة القابل بزيادة استعداد القبول وهذا هو المراد هنا واما من جهة قدرته تعالى فالكل على السواء سبحان فاطر الارض والسماء (الرابع) قد تحقق عند ارباب الحكمة ان ما لا دليل على وجوبه وامتناعه هو الممكن ولم يقم برهان مقبول من المنكرين على امتناع الاعادة بعد ان قلنا المراد من الاعادة اعادة الاجزاء وما تفتت من المواد الى ما كانت عليه من الصور لا على اعادة المعدوم المطلق فتأمل فانه دقيق وبالقبول حقيق (الخامس) ان الانشاء هو الايجاد اولاً والاعادة هي الايجاد ثانياً وهما متحدان في الماهية وانما يختلفان بالعوارض الخارجة عن ماهيتها فيلزم من امكان الاول امكان الثاني والا يلزم الاختلاف في لوازم الطبيعة الواحدة وانه محال فالاعادة ممكنة بالعقل واجبة بالنقل الصريح التي لا يحوم حول حماه شبهه كما سيقرر في محله فانتظر (السادس) انك لو تصفحت الموجودات الامكانية وجدت اشرف الموجودات الحقيقة الانسانية وان ما سواها مخلوق لاجلها في بقائها أتظن ان هذه الحقيقة ليس لها غاية تنتهي اليها أم ليس لها ثمرة من وجودها كلا بل الانسان في الفلك التي تخصه دون سائر الموجودات لها نتائج على حسبها شقاوة وسعادة فمن ذهب الى عدم غاية لهذا الوجود الانساني فهو حيوان في صورة انسان وذلك ان الفضل

واشرف اجزآء العالم ذوات الارواح وافضل ذوات الارواح ذووا الارادة والاختيار فى هذا العالم وافضل ذوى الارادة والاختيار الناظر فى العواقب وهو الانسان فيعلم ان النظر فى العواقب من خاصية الانسان لأنه المدرك للامور الكلية وانه لم تجعل فيه هذه الخاصية الا لأمر مهم وغرض ملزم والا كان وجود هذه القوة والخاصية امراً باطلاً فلو لم يكن للانسان عاقبة ينتهى اليها غير هذه الحياة المملوة نصباً وهماً وحزناً ولا يكون بعدها حال مغبوطة لكان اخس البهآئم احسن حالاً من الانسان فيقتضى حينئذ ان تكون هذه الحكم البديعة والاسرار العجيبة التى اشتملت عليها الحقيقة الانسانية عبثاً وباطلاً وذلك ان احكام بنية الانسان مع كثرة بدائعها وعجائبها ثم نقضها وهدمها من غير معنى سفه عند ارباب العقول تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا وقد اظهر هذا السر المكتوم والأمر المختوم امير المؤمنين ويعسوب الموحدين ليث بنى غالب سيدنا على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه حيث قال الدنيا دار ممر لا دار مقر فاعبروها ولا تعمروها وقد خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار الى دار حتى يستقر بكم القرار فهذا الكلام اذعنت له العقول وصدقته النقول ولا تغتر ايها الخليل بكلام من رضى ان يكون كالانعام بل هو اضل منها فى الانام واقول ايضاً تفصيلاً لما اجملناه ان للانسان مقامات ودرجات متفاوتة بعضها حسية وبعضها خياليه وبعضها عقليه وبعضها فكريه وبعضها قدسيه وهى بازاء عوالم مترتبة بعضها فوق بعض فأول منازل النفس الانسانية الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما يورده الحواس الخمسة وكأنه اصل الروح الحيوانى واوله اذ به يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبى الرضيع الثانى الروح الخيالى وهو الذى يستثبت ما اورده الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلى الذى فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبى الرضيع فى مبدء نشوه ولذلك يولع بالشئ ليأخذه فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلاً قليلاً فيصير بحيث اذا غيب عنه بكى وطلبه لبقآء صورته محفوظة فى خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على النار لشغفه بضياء النار فيظن السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقى نفسه عليه فيتأذى لكنه اذا جاوزه وحصل فى الظلمة عاوده مرة بعد اخرى ولو كانت له الروح الحافظة المستثبتة لما اداه الحس اليه من الألم لما عاوده

بعد ان تضرر مرة كالكلب اذا ضرب مرة بخشبه فاذا رأى الخشبه بعدذلك من بعيد هرب الثالث الروح العقلى الذى به يدرك المعانى الخارجه عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسى الخاص ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان ومدركاته المعارف الضروريه الكليه دون نور العين لانه خاص بالامور الجزئيه الرابع الروح الفكرى وهو الذى يأخذ المعارف العقلية المحضه فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستفيد منها معارف شريفه ثم اذا استفاد منها معارف رتبها فاستفاد منها ايضاً مرة ثانية ثم وثم فلا زال يتزايد كذلك الى ما لا نهاية يقف عندها واما الرتبة الخامسة المعبر عنها بالروح القدسي النبوى فهو مختص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام فلذا كان كلامهم لا تصل اليه الافكار ولا تحيط به الانظار الا من نزه نفسه عن الرعونات وتوجه الى فهم كلامهم من كافة الجهات فانه يفتح له باب القبول لمرامهم ويحظى بمقصوده من مشكاة متابعة انوارهم فاذا امعنت النظر التام فيما القيناه تعلم بالعلم الضرورى ان هذه الامتيازات الكلية والمعارف السرية انما هى لغاية محمودة ونهاية مشهودة يبصرها اولو الانظار السليمة والافكار المستقيمة واما المطمور فى مهوة الشهوات المغمس فى الغفلات فلا يصل الى مقصود وباب الترقى فى وجهه مسدود ولا تغتر ايها الخل الكريم بما تكلم به بعض الفلاسفة فانه هذيان وانكار للعيان وان كانوا بحسب الظاهر لهم افكار عليه فى الهندسة والحساب والهيئة وما يتعلق بها من العلوم الرياضية لكنهم فى الامور الالهية قاصرون ولامور الآخرة منكرون وذلك لا من قصور فى عقولهم بل من عدم توجههم اليها لا يبصرون لان العقل وان كان جوهراً شريفاً فانه لا يتوجه الا حيث وجه ولا غناء له الا فيما اليه صرف فاذا صرف الى امور الآخرة احكمها واذا صرف الى امور الدنيا قبلها وعكف عليها واخل بما سواها فتقصر بصيرته حينئذ عن الامور الاخرويه كما هو المشاهد فى الحال ونص عليه فى كتابه الملك المتعال (المسألة الثالثة) فى حكم من قال العالم قديم اقول من قال بان العالم قديم بالزمان حادث بالذات او قديم بالمادة او قديم بالنوع وغرضه من هذا القول انكار البعث وحشر الاجساد فهو كافر بالاجماع قال الامام حجة الاسلام الغزالى فى اواخر تهافته قلنا تكفيرهم لابد منه فى ثلاث مسائل احدها مسئلة قدم العالم والثانية قولهم بان الله تعالى لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة والثالثة

انكارهم بعث الاجساد وحشرها فهذه المسآئل الثلاث لا تلاآئم الاسلام بوجه وقال الامام الشعرانى فى لواقحه اجمع المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم او بقآئه او شك فى ذلك اه وانت تعلم ان القول بالقدم يستدعي تكذيب الانبيآء عليهم الصلوة والسلام بما جآؤا به من الاخبار واذا دققنا النظر فى البحث معهم يقولون ان جميع ما اخبرت به الرسل من الشرائع والاحكام انما هو على طريق المصالح للخلق اذ لم يمكنهم التصريح بالحق لكلال افهامهم عن ادراكه فهؤلآء يستتابون وينبهون على ان ذلك كفر فان اصروا ولم يرجعوا عرضوا على امير المؤمنين وفعل فيهم ما شآء من قتل او عقوبة وليس للرعية سفك دمآئهم باجماع الائمة ومن قال ان العالم قديم بالعلم فله وجه صحيح تقبله العقول وتصدقه النقول وذلك انه لما كان العلم الالهى قديماً اى محكوماً عليه بالقدم وهو الوجوب الذاتى لأن صفاته ملحقة بذاته فى كل ما يليق بجنابه من الاحكام الالهية والعلم لا يطلق عليه علم الا بوجود معلومه والا فيستحيل وجود علم ولا معلوم كما انه يستحيل وجود كل منهما عند عدم العالم كانت المعلومات اى الاعيان الثابتة ملحقة فى حكم القدم بالعلم ولكن لم ار من تعقب هذا القول غير صاحب الانسان الكامل حيث قال ان الاعيان الثابتة وان كانت موجودة فى العلم فهى محدثة فى نفس ذلك الوجود لأن الامكان نظراً لذاتها لم يفارقها والافتقار الى الصانع عين حقآئقها وانت تعلم ان من قال بقدمها نظراً الى وجودها فى العلم يقول انها محدثة نظراً لافتقارها وامكانها فتأمل قال الشيخ الاكبر والحق الذى نقول به ان العالم كله حادث وان تعلق به العلم القديم وقد كرر الشيخ الاكبر قدس سره الكلام على حدوث العالم فى الفتوحات المكية فى نحو ثلثمائة موضع مع تعلق العلم القديم يعنى ان تعلق العلم القديم بالعالم لا يجعله قديماً فلا تغفل وذلك لأن القدم بحسب الحقيقة عبارة عن حكم الوجوب الذاتى فالوجوب الذاتى هو الذى اظهر اسمه القديم لأن من كان وجوده واجباً لذاته لم يكن مسبوقاً بالعدم ومن كان غير مسبوق بالعدم لزم ان يكون قديماً بالحكم والا فتعالى الله تعالى عن القدم الذى هو عبارة عن تطاول مرور الزمان بل المراد من قدمه تعالى تقدم حكم وجوده على وجود المخلوقات ومن حدوث العالم افتقاره الى موجد يبرزه من العدم الى الوجود وهذا هو الوجه المعقول الذى تطابقه النقول وانت تعلم انه ما جآءت السنة الشرآئع الا بانفراد الحق بما هو له من القدم لا

كما يزعمه من ليس له معرفة بحقيقة الحقآئق فانه يلوح له شيء ويعزب عنه اشيآء فالقدم امر حكمي لذات واجب الوجود لأنه عبارة عن انتفآء مسبوقية الله تعالى بالعدم واما الازل فهو عبارة عن معقولية القبلية لله تعالى

ان القديم هو الوجود الواجب   والحكم للبارى بذلك واجب
لا تعتبر قدم الاله بمدة   او ازمن معقولة تتعاقب
فانسب له القدم الذى هو شأنه   من كون ذلك حكم من هو واجب

واذا تحققت ما فصلناه ووقفت على ما زبرناه علمت بان القديم لا يطلق الا على الله تعالى واما مسئلة قدم العالم بالعلم فهى وان تكلم بها الفحول من العلمآء نعلم أنهم قالوا ذلك باعتبار تعلق العلم واما بالنظر الى ذات العالم فهو حادث لأن الامكان لم يفارقه فتذكر ما تلوناه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (المسئلة الرابعة) فى تفسير قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) اقول لقد تكلم فيها المفسرون عليهم الرحمة سلفاً وخلفاً ونقلاً وعقلا فمنهم من قال احسنيته بانتصاب القامة غير منكب كالبهآئم ومنهم من قال احسنيته باجتماع خواص الكائنات من المجردات المضاهى لها بروحه والماديات الحاكى لها بجسده فكان مجمع الغيب والشهادة والنسخة الجامعة للحقآئق الدرية والكتاب المحيط بالشؤن العمآئية يشير الى هذه الرموز الكلية كلام امير المؤمنين سيدنا الامام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه دوائك فيك وما تشعر ودائك منك وما تبصر وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر ومنهم من قال احسنيته من جهة تركبه من لطيف كالروح وكثيف كالجسد فيكون كالمرآة القابلة لانعكاس ما يقابلها من المرئيات وليس كذلك الملك فانه مخلوق من لطيف فهو كالزجاجة الشفافة نورها خارق لكن لا يتمثل فيها ما يقابلها لعدم الكثيف الذى يكون سبباً للانعكاس فلذا كان الملك لا يترقى من مقامه والانسان يترقى الى ما شآء الله تعالى من المقامات وينال بحسب ما قدره الله له من اعلى الدرجات ولذا اختار الله تعالى الانبيآء عليهم الصلوة والسلام من البشر ولم يختزهم من الملآئكة لأن هذه الماهية مخلوقة على اتم صنعة واكمل خلقة لأنها قابلة للترقى بواسطة الانعكاس والانصباغ على ما ذكره ارباب المجاهدات واصحاب القلوب الطاهرات وايضاً انك لو نظرت الى الحقيقة الانسانية نظر اعتبار لعلمت ان العالم الكبير قد ظهر فيه ظاهره وخافيه وذلك

ان الانسان جامع للحقآئق الكونية اذ لم توجد صورة من اجزآء العالم الا وفيه نظيرها كما اذ ظهر مثل النبآء وحدته فى شعره واظفاره وكما ان فى العالم مآءً مالحاً وعذباً وزعاقاً ومراً فالمالح فى عينه والعذب فى فه والزعاق فى منخره والمر فى اذنه وكما ان فى العالم تراباً ومآءً وهوآءً وناراً ففى الانسان ذلك بعينه وذلك ظاهر وكما ان فى العالم رياحاً اربعاً شمالاً وجنوباً وصبا ودبوراً ففيه اربع ايضاً الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة وكما ان فى العالم عيوناً جارية وامطاراً هامية وسحباً متوالية ففيه ايضاً عيون جارية وهى العين والفم والانف وفيه بخار البدن يجرى مجرى السحاب وعرق يجرى مجرى المطر وعروق فكبارها تجرى مجرى الاودية وصغارها تجرى مجرى الجداول والانهار والعين تجرى مجرى الكواكب بناظرها وشعاعها وطبقات العين تجرى مجرى افلاك الكواكب والحواس بمنزلة الكرام البررة والروح لاهوتية والنفس ناسوتية وايضاً فان رأسه كالفلك وروحه كالشمس وعقله كالقمر يزداد وينقص والحواس الظاهرة كالكواكب السيارة سوى النيرين وظهره كالبر وبطنه كالبحر وصوته كالرعد وضحكه كالبرق وشعره كالنبات ولحمه كالارض الرخوة وعظامه كالجبال ودمه الجارى فى العروق كالمياه فى الانهار وانك مهما استقصيت العالم الكبير وجدت جميع اجزآئه منطوية فى هذا العالم الصغير ولا تظن ان هذا الانطوآء من باب الصدفة والاتفاق بل ان تحت كل جزء حكمة سرية ونعمة كلية قدرها الفاعل المختار فى البطون الغيبية مثلاً ان الانسان بعد ان تمت خلقته وكملت بنيته بنى الصانع المختار جل جلاله له منتزهاً مشرفاً عالياً فى ارفع مكان وفتح له فيه طاقات وخوخات يشرف منها على وجوده وهى الاذنان والعينان والانف والفم ثم جعل له فى مقدم ذلك المنتزه خزانة سماها خزانة الخيال جعلها مستقر ما يرد من المبصرات والمسموعات والمشمومات وما يتعلق بها وبنى فى وسط هذا المنتزه خزانة الفكر التى ترفع اليه المخيلات فيقبل الصحيح ويرد الفاسد وبنى له فى آخر هذا المنتزه خزانة الحفظ وانت تعلم ان هذا كلام الاوآئل على ما اشار اليه صاحب الاسفار واما المشهور الآن فهى الحس المشترك والخيال والوهم والحافظة والمتصرفة وانت تعلم ان المدرك منها الحس والوهم والباقى يعين على الادراك فتأمل واقول ايضاً اعلم ايها المتفكر فى لطآئف صنع القدير العليم فى نشأة الانسان المخلوق

فى احسن تقويم ان الانسان مكرم بنفخ الروح المدركة للكليات والجزئيات مؤيد باللسان المترجم عن جميع المكونات وذلك ان المعانى مقصورة فى خيام القلوب محتجبة تحت استار الغيوب موطنها البلاد الشمالية من اقاليم الأبدان اعنى الافئدة التى هى مركز محيطات قوالب الانسان وهى المضغة الصنوبرية التى هى مطلع الانوار ومجمع الاسرار فهى ثمة مجردة عن ملابس البرود كالجواهر العلوية السابقة فى الوجود ارواح بلا اجسام وانوار بغير ظلام ثم ان الانسان لقوته المفكرة انهضها من مكانها ليتجلى طرف من محاسنها ظاهرة فى ثوب الجلاء رافلة فى برود الانجلاء فاركبها متن الهواء المتموج فى جو السماء تؤم ساحة الفضاء صاعدة من الحضيض الى الأوج ومن حركة المحيط الى جهة البسيط اعنى انها تعلو صهوات النفس النافذ السارى حتى تأتى الى كور الافواه وتدخل اسواق اللهى والشفاه وتنزل على اللسان الذى هو ترجمان الجنان فينهض اللسان طائفاً بها على جوانب المخارج والمداخل فى تلك الاسواق وحانيك المنازل فتستعير لها من الثياب كل ما رق وراق فيكسوها بملابس مقطعة من الحروف والعبارات ويقلدها بفرائد الالفاظ والكلمات وينطقها بمناطق التأليف والتركيب ويحليها بوشاح النظام والترتيب حتى تأتى بلدة جامعة تدعى السامعة فتقرع باب الصماخ فيؤذن لها فتدخل ساحة الآذان فتلج فيه وتخلع هناك ملابس العبارة وتنزع تلك البرود المستعارة وتنزل من مستودع الآذان الى مستقر الاذهان وترجع الى مثل ما كانت من المقام المأنوس والمحل المحروس فتأمل هذا الحال العظيم لتعلم ان الانسان قد خلق فى احسن تقويم واذا جملت ما زبرناه على صفحات الخيال تحقق عندك انما قاله بعض الملحدين المارقين عن الدين والجاهلين بحقائق التكوين ما نصه الانسان الذى زعموا انه خلق فى احسن تقويم فيه نقص كبير من جهة الحس بالالم الى ان قال ومن جملة هذه الاعضاء التى لا تتألم المرارة والكبد والمعدة انتهى خروج عن الدين المحمدى لأنه انكر نصاً صريحاً معلوماً من الدين بالضرورة وذلك ان الله تعالى يقول فى كتابه القديم (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) وهذا الكافر يقول ليس كذلك بل فيه قصور كثير تمسك لا يرتضيه صاحب فن ولا يقبله رقن وذلك من وجوه (الوجه الأول) ان عدم احساس هذه المذكورات بالالم على تقدير تسليمه لاينافى الاحسدية بالوجوه

التى ذكرناها لأنها غير مخلة بالوظائف المقدسة التى حملتها الحقيقة الانسانية (الثانى) ان هذا الملحد الضال لم يعلم حقيقة الالم ما هى وذلك ان ارباب المعقول قديماً وحديثاً اختلفوا فى حقيقته فبعضهم من قال الالم سببه الذاتى تفرق الاتصال وقد رده الامام الرازى وبعضهم من قال انه سوء المزاج وهو الذى مال اليه العموم وذلك لأن سوء المزاج قسمان متفق ومختلف فالمتفق مزاج غير طبيعى يرد على العضو ويزيل مزاجه الطبيعى ويتمكن فيه بحيث يصير كأنه المزاج الطبيعى والمختلف مزاج غيرطبيعى يرد عليه ولا يبطل مزاجه الطبيعى بل يخرجه عن الاعتدال والمؤلم من هذين هو سوء المزاج المختلف ولذلك تؤلم لسعة العقرب ما لا تؤلم الابرة بل ليس لاحدهما نسبة الى الآخر بخلاف سوء المزاج المتفق فانه لا يؤلم فتحقق انه لا يوجد فى بدن الانسان ما لا يدخله الالم لأن كل جزء من اجزآءه له مزاج طبيعى على انفراده ومع اجتماعه مع غيره ولا شك انه عرضة لما يخالف مزاجه وانت تعلم ايضاً ان كل جزء له مزاج يخصه والم يستمده فلو استقصى كتب التشريع لاطلع على امور تقصر عقول العرفاء عن ادراك كنه حقائقها لولا العناية الربانية (الثالث) ان الكبد له وظيفة كلية وهى ان المواد النشائيه يحولها الكبد بعد التحليل الى المادة السكرية ثم يفرغها فى الاوعية الدموية ثم قد تعرض له امور تمنعه عن اجرآء هذا الامر الطبيعى على ما ذكره الاوآئل والاواخر وذلك لانصباب امور مخالفة لمزاجه وما ذلك الا من احتباسه واما كون الانسان لا يحس منه قطعها فهذا دليل على ان الكبد من الاعضآء المرؤسة ولم يكن جزءاً حقيقياً كالقلب لأنه الرأس وقد اخبرنى من اثق به من الاطبآء ان بعض المبتلين بدآء الكبد عاش مدة طويلة بلا كبد ثم بعد التشريع اطلعوا عليه فوجدوا فيه قطعة لحم دموية خلقت فى محل الكبد فادت الوظيفة المطلوبة وبعد الاطلاع اقر الواقفون عليها بالفاعل المختار وما ذلك على الله بعزيز وايضاً ان كثيراً من الاجزآء الانسانية من هذا القبيل والله تعالى يقول الحق وهو يهدى السبيل (الرابع) ان الحقيقة الانسانية وان طال النزاع فيها فبعضهم من قال هو هذا الهيكل المحسوس مع اجزآء سارية فيه سريان مآء الورد فى الورد والنار فى الفحم وهى جسم لطيف نورانى مخالف بالحقيقة والماهية للاجسام وقيل هو هذا الهيكل المحسوس مع النفس الناطقة التى هى جوهر مجرد بناء على وجود المجردات ولكن الحق ما عليه المحققون

هو عبارة عن مبدء يظهر عنه من الاعمال والافعال والتحقق بمراتب اهل الكمال والعروج الى مدارك كلية وعلوم روحية يتقاصر عن الوصول اليها ما سواها فان فى الحقيقة الانسانية بشرط الوصول الى منتهى الكمال مبدءاً لا يصل اليه الملائكة المقربون وذلك ثابت شرعاً وعقلاً واذا علمت هذا تحقق عندك ان من قال ان الحقيقة الانسانية فيها نقص من جهة عدم احساسها فى بعض الآلام فهذا نقص فى علمه وجهل فى ادراكه حيث انه لم يعلم الحقيقة الانسانية ولم يقف على الامور المعنوية وليت شعري ما الباعث على هذه الكلمات والموجب لهذه الغلطات والظاهر قد تفاقم طمسه وافلت شمسه وذهب ايمانه وزال ايقانه فلذا تجاسر على هذا الكفر الصريح والعمل القبيح ارشدنا الله واياه الى الطريق المستقيم وهو الكريم الرحيم (المسألة الخامسة) ان هذا العالم ينتهى الى الدثور ثم يكون البعث من القبور اقول ان هذه المسئلة وان كانت نظراً الادلة النقلية من اجلى البديهيات ومن اوضح الضروريات لكن لما كان المجادلون الذين هم عن الحق ناكصون لا يرضون طريق السمع من الاخبار ولا يعرجون على الآثار ولا يقنعهم ذلك لشكوك فى انفسهم وريبة فى قلوبهم احببت ان اثبتها لهم بدلائل عقلية وبراهين فلسفية تكلم بها الاوائل واقر بها الاواخر قال انكيماس الملطى انما ثبات هذا العالم بقدر ما فيه من نور عالم المجردات المحضة والا لما ثبت طرفة عين ويبقى ثباته ما دام ذلك النور مشرقاً عليه فاذا زال الاشراق دثرت اجزاء هذا العالم وقال فيثاغورس حين ما قيل له لم قلت بابطال العالم ان العالم اذا بلغ العلة التى من اجلها كان سكنت حركته وانت تعلم ان سكون الحركة علامة الدثور وقال افلاطون ان العالم مكون وان البارى قد صوره من لا نظام الى نظام وان جواهره كلها مركبة من المادة والصورة وان كل مركب معرض الانحلال وسئل ارسطاطاليس هل يبطل هذا العالم قال نعم فقيل فاذا ابطله بطل الجود فقال يبطل ليصوغه الصيغة التى لا تحتمل الفساد لأن هذه الصيغة تحتمل الفساد وقال فرفوريوس المكونات كلها تتكون بتكون الصورة على سبيل التغيير وتفسد بخلو الصورة وقال صدر الدين الشيرازى فى كتابه الاسفار ان مذهب اساطين الفلاسفة المتقدمين القول بالدثور والقول بخلاف ذلك انما هو لمتأخريهم لقصور انظارهم وعدم صفاء ضمائرهم لأن اغلب ما جاؤا به سفه من الكلام

وعدم تثبت المدارك الكلية بلا المام ثم بواسطة التروى لبعضهم حسب الفن الذى يتطلبه والعلم الذى يحصله انكشفت له هذه الحقيقة ولم ير غير الدثور له طريقة وانت تعلم ان هذا الكلام الصادر من هؤلآء الحكمآء مبنى على دلآئل برهانية قامت عندهم الجئتهم الى هذا الاعتراف ونحن ولله الحمد فى غنية عن دلآئلهم لكن المجادل لما لم ير دليلاً غير المعقول عرجنا على نقل كلامهم المتضمن لدلآئلهم واذا سبرت العالم بجميع اجزآءه وجزئياته علمت انه يؤل الى الدثور والانتهآء وذلك لأنه محدث وكل محدث حكمه الانتهآء والانقضآء لأن كل فرد من افراد العالم له اجل خاص واذا علمت ذلك تحقق عندك ان العالم اجمعه اعلاه واسفله له اجل معلوم لأن كل واحد من افراده له اجل معلوم فبأنقضآء اجل كل فرد يتقضى اجل العالم وهذا هو الدثور والفنـآء فمثل هذا مثل الكلى الواقع على كل فرد من جزئياته مثلاً كما تقول مطلق الحيوان واقع على كل فرد من افراد كل نوع منه ولا تتعدد الحيوانية فى نفسها لأنها كلية تامة والكلية التامة تقع على جزئياتها من غير تعدد فكذلك الدثور للعالم واقع على كل فرد من الجزئيات من غير تعدد واذا تذكرت ما تلوناه من كون الحقيقة الانسانية جامعة لافراد العالم العلوى والسفلى وانه هو العالم الصغير علمت ان دثور الحقيقة الانسانية الحاكية لهذين العالمين دليل قوى وبرهان جلى على دثورهما وايضاً قد اتفق ارباب الحكمة الجديدة على ان الحرارة الشمسية متناقصة بالتناقص التدريجى وان الحرارة بمرور الزمان بسبب هذا التناقص دائرة ودثورها دثور العالم بلا اشتباه وايضاً ان العالم العلوى والسفلى مخلوق للأنسان فعند زوال الانسان يزول بالضرورة ما كان وجوده لاجله لأن بقآءه لا حكمة له حينئذ ويجل الصانع الحكيم عن ان يعمل او يبقى ما لا حكمة له وان كان غنياً عن العالمين وايضاً قد ثبت بالارصاد الجديدة تقارب الكواكب ومن التقارب وجود الكواكب ذوات الاذناب وتقارب الكواكب موجب لتصادمها وتصادمها موجب لانتثارها قال الله تعالى فى كتابه الكريم (واذا الكواكب انتثرت) فهـذا ما اعترف به المنكرون واقر به الملحدون والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (المسألة السادسة) فى قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) يعنى ان تتفكروا فيها وما نهانا الله تعالى ورسوله عن الخوض بالتفكر فى ذات الله تعالى الا بعلمه بوقوع بعض الخلق فى ذلك وقد وقعوا فما احد منهم سلم من التفكر فيها والحكم عليها

من حيث الفكر فتكلموا فى ذات الله تعالى من حيث النظر الفكرى فاخطؤا فى جميع ما قالوه وما اصابوا وجآؤا بكلمات هى اقصى غايات الجهل ونصروا جانب فكرهم على ما وقع به الاعلام الالهى والشرع وقلدوا جهلة الحكمآء ولم يقلدوا امر خالق الارض والسمآء وذلك اذا تصفحت الحال ولاحظت حال اهل الكمال علمت انهم كيفما كانوا لا يخرجون عن التقليد لانهم قلدوا ما زاد على ذواتهم من قوى الحواس والحواس تقلد العقل والعقل يقلد الفكر والفكر منه ما يكون صحيحاً ومنه ما يكون فاسداً وعلمه بالامور فى بعض الاحيان على ما هى عليه انما هو من باب الاتفاق واذا كان ولابد من التقليد فقلد ربك واعمل جلاء مرآتك بكثرة الطاعات حتى يستنير قلبك وتصل فى العلم بالله الى حد يزيل عنك كل شبهه ويرتفع الخطأ المطلق عنك فى جميع الشؤن الامكانيه قال الشيخ الاكبر التقليد هو الاصل الذى يرجع اليه كل علم نظرى اوضرورى او كشفى ولكن الناس فى ذلك التقليد على مراتب منهم من قلد ربه وهم الطآئفة العلية ومنهم من قلد عقله وهم اصحاب العلوم الفلسفية ومع ذلك فلو شككهم مشكك ما قبلوه ولو عرض عليهم دليل الشارع ردوه لتحكيم عقولهم المدنسة بالشهوات المسودة من الغفلات فلذا ترضى بكلام دروين ويخنر ولم ترض بكلام رب العالمين وسيد البشر ومنهم من قلد نظره وفكره بحيث لو شككهم مشكك لقبلوه لعلمهم بانه ممكن فلذا ترى آرآءهم متناقضة وافكارهم متعارضة فالعالم لم يخرج من التقليد واما المجتهدون وان اجتهدوا فى امور كلية ومسآئل فرعية لم يخرجوا عن التقليد فى امور حاجيه واسباب ضروريه وذلك انهم مقلدون الكتاب والسنة مجتهدون فى فهم المراد منها على ما تقرر فى علم الاصول واما الفلاسفة فلم يقلدوا غير عقولهم وافكارهم ومعلوم ان فضآء ساحة المعقولات لا حد لها والافكار فيها الصحيح والفاسد ولم يتخذوا لهم مرجعاً يعرضون عليه معقولاتهم وافكارهم حتى يميزوا بين الصواب والخطأ واما المنطق فلم يرجعوا عليه فى الالهيات كما افصحت عنه فى المقدمة فتذكر فلذا كثرت آرآءهم وتناقضت افكارهم لا سيما فى الالهيات فان خطأهم فيها كثير وكفرهم فى بعضها شهير فلذا كانت الانبيآء من ظهور آدم عليه السلام الى ظهور نبينا الاعظم عليه الصلوة والسلام متفقين فى اصول الدين ولم يختلفوا بل دعوتهم واحدة وتبليغاتهم متعاضدة واما النسخ وما يتعلق به

فانما هو فى الامور الفرعية حسب الوقائع الحاجية والمقتضيات الزمانية والحكمآء من مبدء ظهورهم الى يومنا هذا لم يقر لهم قرار ولم يقفوا على منار فالنزاع بينهم قآئم فى الاصول والفروع وطالما يعتقدون شيئاً من الاصول ثم يظهر لهم الرجوع فبناء هم على جرف هار حتى يحلوا دار البوار لانهم وضعوا قوانين على ما رأوه بعقولهم وقد غلطوا فى الرأى والعقل وذلك لانهم طلبوا الوصول الى استكشاف الحقآئق التصورية بالقول الشارح والحقآئق التصديقية بالقياس وهؤلآء الاوآئل واما الاواخر فعولوا على التجربة وتصفح الآثار القديمة ومن انصف علم ان الحد لا يفيد الكنه وان القياس لا يلزم الا اذا كان مسلم المقدمات وان التجربة ليست قانوناً كلياً تندرج فيه الجزئيات لاسيما وقد حكم الاوآئل والاواخر بالخاصية وذلك عند العجز عن الوقوف على الحقيقة الكنهية فتأمل ما قلناه فربما يكون نافعاً لك ان شآء الله تعالى فعليك بما نطق به الكتاب المبين او صح من الصادق الامين صلى الله عليه وسلم وما عليك اذا خالفت اقوال من يدعى الحكمة لانها ليست عليها منها سمة ولعمرى لقد ضل بها كثير من الناس واقام فى صدورهم الخناس فتراها جمجمة بلا دليل وقمقمة حادوا بها عن سوآء السبيل هذا واسئل الله تعالى التوفيق للتمسك بحبل الله الوثيق والله تعالى يقول الحق وهو يهدى السبيل (خاتمة) اعلم ان الانسان خلق من بدن ناسوتى ومن قلب لاهوتى وان البدن له صحة بها سعادته ومرض فيه هلاكه وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم وله مرض فيه هلاكه الابدى الاخروى كما قال الله تعالى (فى قلوبهم مرض) وان الجهل بالله تعالى واحكامه سمة المهلك وان معصية الله تعالى بمتابعة الهوى دآئه الممرض وان معرفة الله تعالى ترياقه المحيى وطآعته بمخالفة الهوى دوآئه الشافى وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بادوية كما لا سبيل فى معالجة البدن الا بذلك فكما ان ادوية البدن تأخذها تقليداً للاطبآء الذين اخذوها من الانبيآء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشيآء لم لم تأخذ الاحكام الالهية والحدود الربانية الذى جآءت اليك بواسطة العلمآء العرفآء نقلاً عن الانبيآء عليهم الصلوة والسلام فقبولك للاطبآء وجحودك لما تكلم به العرفاء طيش فى عقلك ومرض فى قلبك وخلاصة الكلام الانبيآء اطبآء القلوب والحكمآء اطبآء

الاجسام فكما قلدت الطبيب بعقاله قبل ان تعلم اسرار كلامه لم لم تقلد الانبياء عليهم الصلوة والسلام بما شرعوه من الاحكام مع ان اسرارها موجودة في الصحف يقتدر على ادراكها الخاص والعام ولكن القصور في التتبع والاستقرآء منعك عن الوقوف على الحقآئق والوصول الى مناهج الطرآئق ولو امعنت النظر في الاحكام الشرعيه والاخبار النبويه لوجدت جميع ما فيها غير مخالف لمناهج العقول السليمه والآراء المستقيمه وان جميع ما فيها من الاحكام قد علله الجهابذة العظام على وفق المعقول الصرف العارى عن الكدورات النفسيه وليس فيها ما يخالف العقل الا في نظر العامه الرعاع فاياك من الانكار فان عاقبته البوار ولو اردت الوقوف على الاسرار المشروع فانت لست بممنوع قال الله تعالى (واسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وانت تعلم ان الاشتغال بعلوم الفلسفه الآن من اهم المسائل ومن اقوى الوسائل لكن بشرط ان تكون عالماً بالقواعد الاسلاميه مثبتاً لها بالقواطع القطعيه مقتدراً على رد من خالفها بالادلة البرهانيه وبالمواد الفنيه واما اذا لم تكن من خيول هذا الميدان ولم تصل الى حقيقة العيان فلا يجوز عليك الاقتحام في هذه المهالك والدخول في هذه المسالك فانها صعبة الفحوى قليلة الجدوى حيث انهم لم يحكموا اساسها على كتاب ولا سنه ولم يجعلوا ميزانها القواعد المسلمه بل بنوا اساس الهياتهم على ظنون واوهام واستقرآءات لم تكن على نظام على السمع عولنا فكنا اولى النهى ولا علم فيما لا يكون عن السمع

شعر :

وان تقف الافكار دونى فعذرها ... تأخرها في السير عن قصد مهيعى

وما كل عين بالجمال قريرة ... وما كل من نودى يجيب اذا دعى

فقل لعيون الرمد للشمس اعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع

وسامح نفوساً ما جلتها رياضة ... ولا قوبلت صرآتها بتطلع

واعرض عن الحساد في نيل جنة ... جناها الذى لم تجنه يدا قطع

ومن لم يجب داعى هداك فخله ... يجب في العمى من جهله كل مدعى

الى هنا وقف جواد القلم في مضمار البيان وقام شاهد النقل راقياً على منبر العيان جعله الله تعالى خالصاً لوجهه الكريم ووسيلة للفوز بالرضاء العميم والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

التقريظ الاول

لحضرة اخي وابن امي وابي ومن ارجو بمفتوحي واربي علامة المعقول وفهامة المنقول صاحب الفضيلة والمزايا الجليلة ذي الخلق الاحمدي حضرة المولى نائب الباب حفظه المالك الوهاب :

كتاب صمت للوارثين مشاربه ۞ وغارت على اهل الضلال كتائبه
ورم قولاً للطغام نحاله ۞ رديلاً من الاقوام ماتت مغايبه
يريك دليل المحدثات مبرهناً ۞ ومن لم يقل في ذلك ساءت عواقبه
ولو كان داء كبر لما شاع قبحه ۞ وباحت على تلك العقول نوادبه
سيبكي غداً يوم اللقاء بادمع ۞ على رمس ما يقتضي كواكبه
فخذ من اخي صدق المقال فانه ۞ لنصرة دين الله زادت رغائبه
ولست اغالي بالمديح لمن غدا ۞ على طرق الاحسان طابت مذاهبه
اقول بلا فخر لمن شاد فخري ۞ اذا نال مني اسود الخط كاتبه
واخ ما جدل يحزني يوم مشهد ۞ كما سيف عمرو لم تجده مضاربه

كتبه بقلمه

نائب الباب عبدالوهاب

التقريظ الثاني

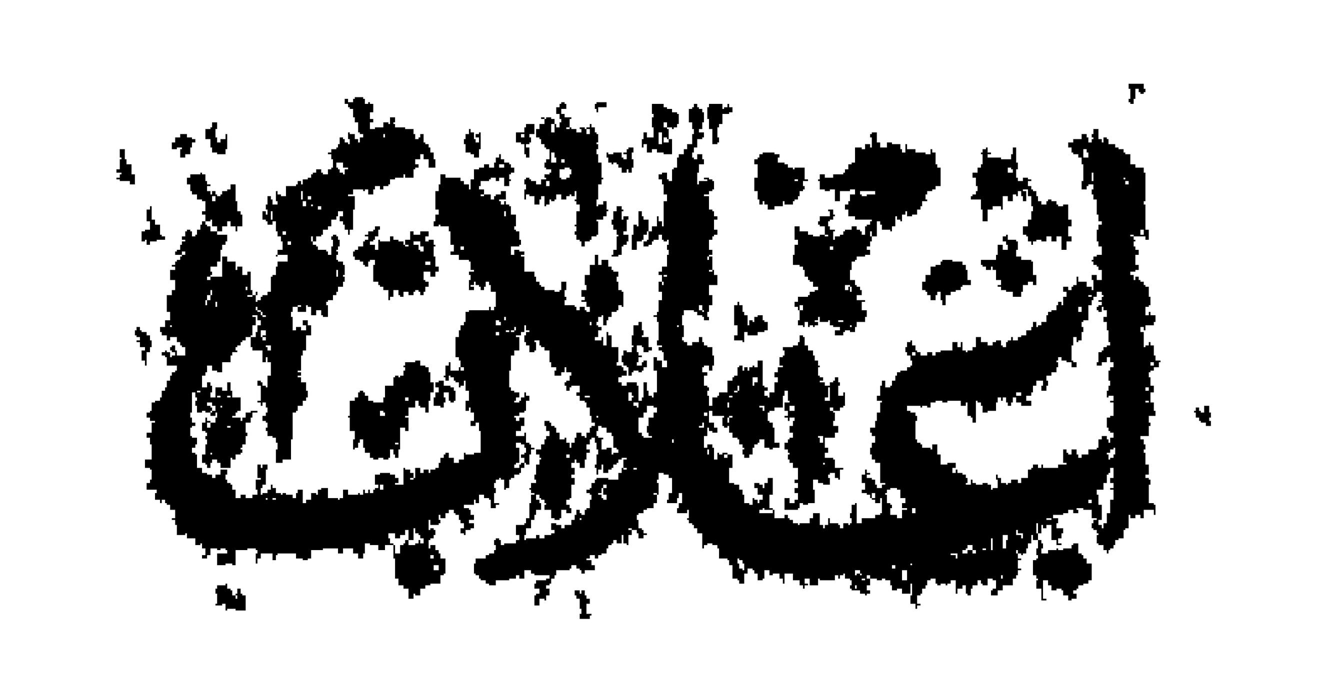
للفاضل الحسيب والكامل النسيب قدوة العارفين ومرشد السالكين حضرت السيد الشيخ ابراهيم افندي صاحب السجادة الرفاعية في الحضرة السلطانية دام محفوفاً بالانوار الاحمدية :

مواهب الرحمن لا تقضى ۞ فاز بها اهل النهى والهدى
قد ايد الله بهم دينه ۞ وطالع السعد غدا اسعدا
ما رام مس الدين ذو عاهة ۞ الا سقاه الله كأس الردى
وما اهان الشرع ذو باطل ۞ الا غدا بين الورى انكدا
فليهنأ الدين بانصاره ۞ فسيفه بالنصر لن يغمدا

اقلامهم تجرى ولكنها بشر ركا قصر ترمى العدا
هذا كتاب الصدق قد جاءنا به سليم القلب قد اسعدا
فعامه الموروث اضحى له شأن وشأن العلم ان يحمدا
وما قديم غير رب الورى وغيره لحدث اسندا
فيا سعيد قد بدا سعده نحوس اهل الزرور قد بددا
فكم افاد الناس فى وعظه وقادهم بهديه للهدى
وبجد العلم وطلابه وكل فن الهموا مهدا
وانت فرد جامع شملنا وانت شيخ مرشد مقتدا
جزاك مولاك من الخير ما جازا اماما فى الورى مرشدا

كتبه بقلمه

ابراهيم الراوى



غير خفي على ارباب النهى ان كثرة الاوراق المتالفة للمعقول والمنقول قد بدت من افواه الكتاب بحيث ان من رغب في نحوها ان يطالع هذا الكتاب الذي جمع قاموس.

وقد جعلنا ثمنه زهيداً وهو قرشان صاغ مع الاجرة فمن اراد شراءه فليراجع باعة الكتب في بغداد وفي مقدمتهم ملا نعمان افندي الاعظمي وادارة مجلة الزهور.

صحيفه	خطاء	صواب
٣	بقدوة	بقدر
٤	حول	عول
٥	عرف هذا	عرف هذه
٦	عين	ه حق
٦	عن ماهيتها	عن ماهيتهما
٢٢	رقن	قن
٢٦	لتحكيم	لتحكيمهم
٢٦	يخالفوا	تخالفوا
٢٧	سمة	سمه
٢٨	الرءع	الرعاع